الرواية الجزائرية بين الدراسات ما بعد الكولونيالية والأدب المقارن

The Algerian novel between postcolonial studies and comparative literature

بلقناديل حليمة*	أ.د بودالي التاج
جامعة سيدي بلعباس - الجزائر	جامعة سيدي بلعباس - الجزائر
kanadilhalima914@gmail.com	tedjboudali1967@gmail.com

تاريخ الوصول: 2022-02-15 تاريخ القبول: 2022-05-01 تاريخ النشر: 2022-05-13

ملخص:

يمثل الجانب التاريخي الدور الأوّل والأهم في عملية بناء العديد من الأعمال الفنية المعاصرة، لهذا استطاعت الدراسات ما بعد الكولونيالية والدور الذي قدمه الدرس الأدبي المقارن في دراسته لما أنتجه الأديب الجزائري في المرحلة التي عقبت الاستقلال الوطني أن تشمل كل ما يتعلق بالهوية والذاكرة الوطنية والدفاع عن فكرة مقاومة الهيمنة الامبريالية .

الكلمات المفتاحية: الأدب المقارن، الدراسات ما بعد الكولونيالية، الازدواجية.

Abstract:

The historical aspect represents the first and most important role in the process of building many contemporary works of art. That is why postcolonial studies and the role given by the comparative literary lesson in his study of the production of Algerian literature at the time of national independence have been able to include everything that concerns identity and national memory and to defend the idea of resistance to imperialist hegemony.

Keywords: The comparative literary- postcolonial studies- double standard.

1. مقدمة:

اللغة أساس قيام الشعوب وعامل ومن عوامل توحيد الأمم المختلفة فكريا وثقافيا فقد شكل التداخل اللغوي في الأدب الجزائري كأحد أهم مجالات المقارنة، فالتعددية اللغوية ضمن المجتمع الجزائري والتي جاءت نتيجة متغيرات تاريخية وثقافية واجتماعية، كان للاستعمار الفرنسي دور في إدخالها الى جغرافية الأدب الجزائري ما مكن الأديب الجزائري من الكتاب بلغة غير لغته الأم لتصبح مجال رحب للمقارنة الأدبية.

تمكنت الدراسات ما بعد الكولونيالية من انتاج سرديات تهتم بقضية المستعمِر والمستعمَر، ومعالجة اشكاليات الهيمنة وتهميش الآخر والتمركز حول الذات، فالتعدد الثقافي داخل المجتمع الجزائري ولد أدب يحمل كل ميزات التي

* بلقناديل حليمة.

تخوله أن يكون مجالا للدراسات الادبية المقارنة، فالازدواجية اللغوية ميزت الأدب الجزائري لتمكنه من خلق مبدأ خاص للتواصل بين الأدبين، لتنتج سرديات مقاومة ومحاولة التحرر من الهيمنة الاستعمارية. لذلك نطرح الإشكال كالآتي: وهل يستطيع الأدب الجزائري أن يكون مجالا للقيام بالمقارنة؟ هل للازدواجية اللغوية دور للقيام بالمقارنة؟

2. الدراسات ما بعد الكولونيالية والأدب المقارن:

جاءت الدراسات الأدبية المقارنة لتهتم بالعديد من الآداب القومية المختلفة، ونظرا للخاصية التي عرف بها الأدب الجزائري في الازدواجية اللغوية التي استطاع بها أن يؤسس لنفسه مكانة ضمن حقل الدرس الأدبي المقارن.

عرف الأدب المقارن كأحد أهم الدراسات النقدية التي اهتمت بمختلف الآداب القومية على مستوى العالم، ودعم علاقة التواصل ودعم عملية التبادل الثقافي بين مختلف الآداب العالمية المختلفة فقد عرفه هنري باجو على انه "الفن المنهجي الذي يبحث في علاقة التشابه والتقارب، والتأثير، وتقريب الأدب من مجالات التعبير والمعرفة الاخرى، أو الوقائع والنصوص الأدبية فيما بينها ، المتباعدة في الزمان و المكان أو المتقاربة، شرط أن تعود الى لغات مختلفة، تشكل جزءا من تراث واحد من أجل وضعها بصورة أفضل فهما وتذوقها"[1]، عند فهم الآداب المختلفة لغويا هو بطبيعة الحال يمثل جزء من حقل الأدب المقارن وذلك بعد فهمها وتذوقها، والعمل على دراسة علاقة التشابه والتقارب والتواصل بينها.

تعددت التعريفات التي اهتمت بالأدب المقارن لفهم ومعرفة المغزى من وراءه لهذا ذهب صابر عبد الدايم الى تعريف الأدب المقارن على أنه "دراسة العلائق الوقائع التي وجدت بين منتجات أعظم المؤلفين في كل دولة، والمنابع التي انتهلوا منها أو استوحوها أو تأثروا بها"[2]، فقد شكلت الآداب المختلفة لغويا المنبع الأول لبناء الدراسة المقارنة عن طريق دراسة االعلائق والوقائع التاريخية التي أنتجت العديد من الأعمال الأدبية ومصادرهم التي نهلوا منها وما يناسب غرضهم الأدبي.

كما عملت الدراسات ما بعد الكولونيالية التي اهتمت بتحليل العديد من الخطابات السردية لتشير الى نوع آخر من التحليل ينطلق من فرضية أن الاستعمار التقليدي قد انتهى وأن مرحلة من الهيمنة قد خلقت ظروفا تستدعي تحليلا من نوع معين، فقد توجهت الدراسات ما بعد الكولونيالية الى الاهتمام بقراءة التاريخ من جديد وقراءة للفكر الغربي في تعامله مع الشرق من خلال مقاربته النقدية بأبعادها الثقافية والسياسية والتاريخية. [3]

اهتمت الدراسات ما بعد الكولونيالية بالعديد من الاعمال الادبية التي عملت على تجسيد فكرة المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي ولتعدد الاصدارات الادبية المختلفة فإن مرحلة "ما بعد الكولونيالية تمثل أثرا نصيا واستراتيجية القراءة، وغالبا ما تعمل الممارسة النظرية لما بعد الكولونيالية على مستويين، فهي تحاول من جهة الإبانة عن حالة ما بعد الكولونيالية التي تنطوي عليها نصوص معينة، ونحاول من جهة أخرى اماطة اللثام عن أي بنيات أو مؤسسات باقية من القوة الاستعمارية "[4] لتمثل الدراسات الما بعد الكولونيالية قراءة لمجموع النصوص من أجل التحرر وابطال البواعث السياسة لما جاء به الاستعمار.

جاء الاستعمار الفرنسي ونهل من الشعوب المختلفة كل حقوقها وبقيت المستعمرات أسيرة تصوراتها، لهذا عمد الادباء على حمل لواء الدفاع والمقاومة وذلك عن طريق الخطابات المناقضة للهيمنة الامبريالية، وذلك عن طريق الاهتمام بالعديد من القضايا التي جاءت على علاقة مباشرة بالتاريخ الوطني والأوضاع السياسية والمجتمع، لهذا ارتبطت أغلب الدراسات ما بعد الاستعمارية لمواجهة الاستعمار، نظرا لما آلت إليه الشعوب المستعمرة بعد الاستقلال وبقائها أسيرة بعض الأنظمة المستبدة عمد مثقفيها على إنتاج خطابات مقاومة للهيمنة الامبريالية تعبيرا وكشف خبايا الذات و مواجهة الآخر.

مع ظهور الدراسات المعاصرة التي أولت اهتماما مباشرا بثقافة الشعوب وتعزيز عنصر المثاقفة ودعم عملية التبادل الثقافي بينها ما دفع بالدراسات ما بعد الكولونيالية الى التوجه صوب هذه الأعمال الفنية والبحث داخلها، وعليه جاء "ظهور مصطلح ما بعد الاستعمار على المسرح النقدي أهم تطور حدث في الأدب المقارن في العشرين"[5] فقد اتسمت هذه الدراسات بتناولها لموضوع الثقافة الأوروبية والأدب مستنبطة إياه فيما تنطوي عليه أشكال الهيمنة والتسلط على الآخر المختلف.[6]

تضاربت الآراء بخصوص مصطلح ما بعد الكولونيالية و ارتباطه بالدراسات الأدبية والنقدية من خلال ما قدمه الكتاب ضمن مختلف أعمالهم السردية و التي جاءت أغلبها شديدة الارتباط وما خلفه المستعمِر، لهذا ما يميز نصوص ما بعد الكولونيالية امكانية التقويض في مواضيعها (themes) لا يمكن أن تتحقق بالكامل، وعلى الرغم من أن هذه النصوص تتناول مادة تتسم بالقوة مثل وحشية نظام الإدانة أو الفاعلية التاريخية للثقافات الأهلية التي استؤصلت من جذورها و شوهت، أو وجود تراث ثقافي أكثر اتساعا"[7] هذا ما ميز نصوص ما بعد الكولونيالية التي عرفت بمجموع الخطابات التي تعمل على ابراز فكرة المقاومة وإثبات الذات عن طريق تناولها ما جاء به النظام المستعمِر، وتبيان دور التاريخ و الثقافة في بناء الأمم، فما جاء في هذه الفترة إنما أنتج لتأكيد الهوية وتحرير التاريخ والثقافة من الفكر الاستعماري و البحث عن مرتكزات إيديولوجية و سياسية لمقاومة الهيمنة الامبريالية ووصياتها المتعددة الأشكال.

ما خلفه الاستعمار انعكس بصورة واضحة المعالم عل نفسية الأديب ما دفعه الى الكتابة ضمن السياق الذي يعبر فيه عن معاناته ومعاناة شعب بأكمله مرورا بتاريخه وثقافته الوطنية.

إن أول ما يلفت الانتباه من خلال ما جاء به **إدوارد سعيد** فقد عمد على تبيان " أن النص لم يعد مجرّد خطابات بلاغية وسيميائية، وهذه العناصر البلاغية والسيميائية لا تكفي وحدها لاستخراج ممكنات النص، وقد أكد سعيد في أكثر من مناسبة على ضرورة دراسة أي نص إبداعي من خلال علاقته هذا النص بالخطابات الثقافية، وسبب انشغالاته النقدية الهامة في هذا الحقل فإدوارد سعيد يعتبر من أهم أقطاب ما بعد الكولونيالية"[8] أكد هذا التيار على الدور الذي لعبه إدوارد في الكشف عن بعض الخطابات الثقافية وانشغالاته النقدية في هذا الحقل، وعليه فقد اتجه في كتابه الاستشراق الى دراسة "أهم التطورات في دراسة ما بعد الاستعمار كان يمثل في إعادة قراءة الأعمال الثقافية المعتمدة لا بالحط من قدرتها أو بتلويث سمعتها بصورة ما، بل إعادة فحص بعض ما تقوم عليه من افتراضات،

وتجاوز خصورها لصورة ما من صور الجدلية الثنائية التي توحي بوجود أسياد وعبيد"[9] فقد قدم إدوارد سعيد في كتابه هذا الفكرة من قراءة بعض الأعمال الثقافية من أجل فحصها وتجاوز فكرة الفروق الطبيقية التي تنص على الاختلاف التي طرحتها النظرة الغربية.

مع ظهور الدراسات الأدبية المقارنة و التي سعت هي الأخرى مع اختلاف مداسها إلى الاهتمام بالأعمال الأدبية و الفنية المختلفة، كما لا ننسى الدور الذي لعبته الدراسات المقارنة والتي "كانت منطلقة من عقدة التمركز حول الذات الأوروبية و التي كان الاستعمار من أهم مظاهرها لذلك فإن مفهوم الأدب المقارن كان مرتبطا بشكل جوهري بحركات الاستعمار في البلدان غير الأوروبية إفريقيا، آسيا، أمريكا اللاتينية "[10] وعليه فإن الظروف التاريخية كانت شديدة الارتباط والأدب المقارن ولم يستطع التخلص منها أو تجاوزها وظل مرافقا لها، لهذا "نشأت الدراسات المقارنة في مرحلة الامبريالية الأوروبية وأنها مرتبطة بها ارتباطا لا مراء فيه، وإذاك نستطيع أن نستخرج من المسار اللاحق للأدب الأدب المقارن إحساس أفضل لما يمكنه أن يؤديه في الثقافة السياسية الحديثتين اللتين تواصل الامبريالية ممارسة تأثير عليهما"[11] فللاستعمار دور في تحديد وجهة الأدب المقارن الذي جاء شديد الارتباط بها.

يسعى المستعمِر في محاولته على نشر ثقافته داخل العديد من المستعمرات لهذا كان الاستعمار الثقافي شكلا من أشكال الأدب المقارن حيث قامت المجموعة المستعمَرة بجلب أدباءها ثم قياس أدباء البلاد الأصليين بشكل سلبي بالمقارنة بهم،[12] وذلك من أجل إبراز التفوق للآداب الأوروبية على باقي الآداب، وفرض السيطرة الأوروبية ومحالة استضعاف الآداب المحلية لدى السكان الأصليين والاعتقاد بتفوق ثقافتهم جزءا من السياسة الاستعمارية الذي أخذ أشكال عديدة على سبيل المثال الملحمات الشفهية التي عدت بلا أهمية على عتبة الملحمات المكتوبة في التراث الأوروبي التي أصبحت تمثل رمزا للثقافة الأوروبية كأعمال هوميروس و مسرحيات شكسبير وغيرهم، والتي أصبحت مقياس تقاس به الأعمال الأخرى[13] .

استطاعت الدراسات الأدبية المقارنة أن تكون الواجهة في تلقي الأعمال الفنية المختلفة ما بعد الكولونيالية خصوصا عندما ظهرت تلك النصوص التي تحمل داخلها فكرة المقاومة والبحث عن العنصر الثقافي، لذا "تعتبر الدارسات الكولونيالية معبرا من الأدب المقارن الى الدارسات ما بعد الكولونيالية وذلك لأن الأولى كانت السباقة الى التناول الثقافي للنصوص الأدبية، بجعلها تكون نقدا ثقافيا يهتم بدراسة الخطاب المسيطر وكشف الأنساق الفكرية المهيمنة فيما اختصت الثانية بالرد من قبل الكتاب المنتمين لبلدان العالم المستعمر على السرديات التي ألفت حولهم، فالدراسات الكولونيالية ترى أن الأدب والنصوص الابداعية على العموم تنطوي على خطاب الهيمنة واقصاء للآخر"[14] فحملت هذه النصوص في جعبتها كل أشكال المقاومة وابراز للذات المقصية والعمل على اقصاء فكرة السيد والعبد والتحرر في الفكر الغربي والواقع المأساوي الذي سيطر على المجتمعات المستعمرة من خلال تلك النصوص التي شكلت تعبيرا مباشرا عن الواقع .

3. الأدب الجزائري واجهة للدرس الأدبي المقارن:

تعددت الأعمال الروائية المعاصرة التي تحمل فكرة المقاومة، مقاومة الذات ومقاومة الآخر، فقد استطاع الأديب الجزائري عن طريق مجموع أعماله السردية أن تأسس لنفسه مبدأ خاص للولوج إلى حقل المقارنة، لهذا فالمرحلة التي عقبت الاستقلال أو ما يسمى بمرحلة ما بعد الكولونيالية جزء مهم من ذات الكاتب ومجتمعه وعلاقاته المتفرقة من خلال ما جاء به من موضوعات التي تطرق فيها لمناهضة الفكر الامبريالي وإعادة إنتاج سرديات مضادة للاستعمار "حيث أضحى السرد الفضاء المميز الذي تنكشف فيه التجربة البشرية عندما تأخذ شكل الحبكة السردية"[15] انطلاقا من مجموع الأفكار التي تتطرق للفترة الاستعمارية وما يعقبها من تحولات سياسية واجتماعية لينعكس بصورة مباشرة على الأعمال السردي التي تعمل على إنتاج خطاب نقيض للفكر الامبريالي .

جاءت آداب العالم الثالث امتداد لفكرة المقاومة التي حاولت أن تعالجها دراسات ما بعد الكولونيالية، عن طريق "الرد على السرديات الغربية الاستعمارية التي صورته بصورة معينة وتحدثت عنه بدل أن يتحدث هو عن نفسه نهض من أجل أن يجابه تلك السردية والعمل على إنشاء سردية أخرى مناقضة لتلك التي استند إليها الغرب من أجل اثبات صفات معينة وممارسة الهيمنة والتملك"[16] وذلك من أجل مواجهة الأدب الغربي والتحرر من فكرة الهيمنة والتسلط والاستبداد ومواجهة الاستلاب الذي عمد المفكرون الغربيون على تطبيقه.

إن الحديث عن ميلاد الأدب الجزائري و علاقته بالتاريخ وما خلفه الاستعمار الفرنسي الذي كان له الدور البارز في دخول لغة جديد الى جغرافية وثقافة المجتمع الجزائري، وعليه إزدواجة اللغة ضمن الأعمال الروائية لتكون مجال واسع للتعبير باللغتين العربية والفرنسية، فقد نهج الكاتب الجزائري الذي استعمل اللغة الفرنسية كوسيلة للكتابة نفس طريق الكاتب الذي عبر باللغة العربية لتغدو عملية الكتابة محطة تواصل بين الكاتبين، ومبين اولئك الكتاب نجد كل من آسيا جبار، أحلام مستغانمي، ياسمينة خضرة وواسيني الأعرج وغيرهم ... عمد اولئك الكتاب على الكتابة انطلاقا من التاريخ الجزائري ومعاناة الشعب عن طريق إعادة بناءه من جديد وعليه فإن هذه النصوص اتجهت صوب الذات والهوية الوطنية وذلك لأجل "تأكيد الهوية وتحرير التاريخ والثقافة، والبحث عن مرتكزات إيديولوجية وسياسية لمقاومة الهيمنة الامبريالية ووصياتها المتعددة الأشكال"[17] نتيجة ما خلفه الاستعمار ما دفع الأديب إلى الكتابة ضمن سياق يعكس الواقع الاجتماعي بداية من التاريخ و الثقافة لردع الهيمنة الامبريالية.

إن الحديث عن الأدب الجزائري ضمن سياق الدراسات المقارنة فإنه يحيلنا إلى التطرق عن دور الازدواجية اللغوية في خلق ذلك الأدب الهجين وبما أن الرواية الجزائرية أدب "تأسس على تقاطع الثقافات واللغات وتنبني على تخطي الحدود والفواصل التي تحول دون تشكيل الهويات عبر الثقافة اللغوية، في رحاب التعددية والغيرية والاختلاف"[18] فالتزاوج اللغوي انتج لنا أدبا يحمل العديد من اللغات والعديد من الثقافات والتناص مع العديد من الآداب المختلفة، ودلالة واضحة لبناء بعض من النصوص السردية التي اعتبرت واجهة للأدب الجزائري ومن ضمن الآداب العالمية.

أخذت الأعمال السردية لتشكل جزء من الواقع ومتطلباته ونظرا للازدواجية اللغوية التي عرف بها المجتمع الجزائري، فقد أخذ فعل التهجين ليبين لنا "رغبة الأديب الجزائري في الاحتكاك بالآخر المختلف والتناص معه ثقافيا ولغويا، وتوليد نصوص هجينة تتجلى فيها آثار الترجمة والحوار وتتداخل عناصر معجمية متنوعة وصيغ تركيبية دخيلة، مقدار ما تتولد خطابات غير متجانسة هي معابر لثقافات الشعوب وذاكرتها وهوياتها ومرافئ لضحايا الاقصاء والتهميش والنسيان والسلب والهيمنة والاختلاف"[19] هذه الرغبة التي تكمن داخل الأديب الجزائري في جعلت منه عابرا للقارات، الشعوب والثقافات فقد ولدت عملية التناص تعزيزا لدور الترجمة الأدبية في ولادة نصوص جديدة ودخول أخرى إلى عالم الأدب الجزائري.

إن الاشارة الى الازدواجية اللغوية وبمحاذاتها مع فعل التهجين عن الأدب الجزائري فقد شكلت مفارقة نتيجة لعملية المقارنة الأدبية، ونظرا لاهتمام الرواية الجزائرية بالعديد من القضايا الوطنية (الهوية، الذاكرة، التاريخ، المرأة...) ما جعل منها واجهة للعديد من القضايا النقدية المعاصرة وبلوغها حقل الدراسات المقارنة، فالآداب القومية شكلت دور مهم في الاهتمام بمختلف اللغات وبلوغها العالمية، لهذا يعود الأمر لممارسة أكثر من لغة لأسباب تاريخية باعتبار أن للمستعمِر دور في غرس لغة جديدة داخل الآداب القومية، فأصبح الأدب يخرج من نطاق اللغة الواحدة و مثالا على ذلك العرب الذي أنتج البعض منهم أدبا باللغة الانجليزية منذ بداية القرن العشرين الى اليوم في المشرق وحتى في الغرب العربي مؤخرا، ونافس البعض الآخر منهم الفرنسيين في إنتاج أدب باللغة الفرنسية في المغرب العربي[20].

استطاع الأدب الجزائري كأدب قومي له خصوصياته الأدبية والفنية، أن يتجه صوب المواضيع القومية كالاهتمام بقضية التاريخ الجزائري وأحوال المجتمع الجزائري، لهذا جاءت العديد من الأعمال السردية "لما بعد الاستعمار لكتاب المستعمَرات في رؤيتين: الأولى تمثل الرد على الاستعمار والكتاب الاستعمارية ونقض رؤاها الامبريالية من خلال الاستعمار على دراسة التمثيل الثقافي و المقاومة، أي الرد بالكتابة السردية على مخلفات الفكر الامبريالي الغربي الأوروبي، وإثبات الهويات المتعددة لعديد الكتاب من شعوب المستعمرات المستقلة عبر استراتيجية الخطاب النقيض، والكتابة باللغة المحلية بتناول ثقافاتها وتشكلاتها الاجتماعية وإثبات حضورها بين مختلف العوالم"[21] فنجد رواية واسيني الأعرج كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، يعتبرها الدارسون كجزء من حقل الخطابات السردية المقاومة لفكر الامبريالية الغربية .

يمثل السرد كاستراتيجية مضادة مرتبطة بقضايا اثبات الذات والتأكيد على الهوية الفردية والجماعية، فوجدت العديد من الأعمال السردية تمثيلا لثنائيات ضدية المتمثلة في السيد / العبد، المركز/ الهامش في الروايات الكولونيالية، السلطة/التابع في الحكاية السلطوية، والأنا /الآخر في الحكاية الحضارية،[22] هذه الثنائيات التي حددت ضمن الأعمال السردية المعاصرة وخصوصا ما حاول الاديب العمل به.

تطرق الأدب المقارن لنظرية التعددية اللغوية و إشكالية الانتماء القومي للآداب العالمية و المحلية "فالأدب العربي المعاصر بمختلف أجناسه انتقل من "النقاء اللغوي" إلى "اللهجة اللغوية" في أبنيته نتيجة التزحلق اللساني

الذي أصبح الأدباء العرب يمارسونه رغبة واختيار الأسباب متعددة مثل تعدد اللغات عند الأديب الواحد وعند العديد من القراء سعيا وراء الشهرة العالمية أو الجوائز ...الخ " [23] لهذا يسعى الأديب الواحد إلى الانتقال من مجال جغرافي و ثقافي واحد إلى مجال أوسع انطلاقا من فكرة التعددية اللغوية و دعم عملية التبادل الثقافي.

يسعى العديد من النقاد الى الوقوف على قضية الكتابة باللغة العربية و الفرنسية لدى الأديب الجزائري والأسباب وراء هذا التعدد، لهذا نجد العديد من الأعمال الفنية التي عمل فيها الأديب على الجمع بين اللغات المختلفة ومثالا على هذا ما جاء به الكاتب واسيني الاعرج في أعماله السردية التي انتقل فيها بين "مستويات اللغوية متباينة بلغات متعددة، بدءا من روايتيه الشهيرة، فاجعة الليلة السابعة بعد الألف التي تنقل فيها بين المستويات لغوية عربية متعددة تماشيا مع انتماءات الشخصيات كما تنقل فيها بين العربية والإسبانية، وكذا الفرنسية، وأنتج لغة روائية عربية جديدة لجمهور جديد من القراء العرب"[24] فالازدواجية اللغوية وليدة متغيرات تاريخية والتي جاءت واجهة لبناء نصوص سردية هجينة.

أخذت الكتابة الإبداعية التي أتت وليدة متغيرات تاريخية جعلت الأديب مجالا للحوار والتبادل الثقافي ودعم للآداب المختلفة والذي شكل حلقت تواصل بين العملين الفنيين، فما جاء به عبد المجيد حنون في كتابه العرب والادب المقارن عن ما اصطلح عليه التزحلق اللساني فقد " اعتبر الرواية العربية الاكثر تعرضا لظاهرة التزحلق اللساني بسبب نمط الحياة الذي أصبح العربي يعيشه، فأصبح العديد من الروائيين العرب يتزحلقون لسانيا بين العربية والفرنسية ولغات أخرى "[25] فالسرد ما بعد الكولونيالي هو جزء من الشعوب المستعمَرة لهذا تأتي الأعمال السردية مرتبطة والإرث الامبريالي حاملا طابع الفكر المضاد للهيمنة، والدفاع عن مقومات الشعوب المستعمَرة.

استطاعت الخطابات السردية ما بعد الكولونيالية أن تتعدى النظرة الضيقة التي فرضتها الدراسات النقدية المختلفة، "لتعالج السرديات الثقافية جميع تلك القضايا الثقافية وتشكلاتها وشروط تكوينها ونتاجها، متجاوزة التحليل البنيوي للنص الأدبي"[26] فالسرد في الدراسات ما بعد الكولونيالية تجاوز الدراسات السابقة انطلاقا من التعددية اللغوية عن طريق علاقته بما يحيط به من الجانب السياسي والاجتماعي والايديولوجي لهذا "لا يمثل السرد مجرد خاصية نصية مكونة للخطاب الأدبي، بل يمثل الشرط الضروري والحتمي للغة و المعنى والمعرفة، معرفة الذات والعالم، في هذا السياق يتحدث الناقد فرديريك جيمسون عن العمليات المشكلة للسرد"[27]، ليندرج النص السردي ضمن الأنساق الثقافية والتاريخ والعمل التخييلي عن طريق ربط الماضي بالحاضر انطلاقا من فكرة السيطرة الاستعمارية والمقاومة.

يعيش الأديب الجزائري في بيئات جغرافية وثقافية متعددة، ونظرا للازدواجية اللغوية التي اكتسبها الأديب كما سلف الذكر، نحى بها منحا آخر انطلاقا مما يعتمده من مرجعياته التاريخية وما جاءت به الدراسات ما بعد الكولونيالية، فإن خاصية الازدواجية اللغوية مكنته من مواجهة الفكر الغربي عن طريق مجموع الخطابات المقاومة، ما دفع الى العمل على تبني فكرة الأدب المقارن والمقارنة الأدبية.

4. خاتمة:

خلاصة لما سبق عرضه في هذا المقال، يمكن القول أن الأدب الجزائري سواء الذي كتب باللغة العربية أم بالفرنسية لتتخذ أهم أشكال الدراسات النقدية المعاصرة لامتلاكه خاصية الازدواجية اللغوية التي جاءت نتيجة لما خلفه الاستعمار الفرنسي، لهذا استطاع الأديب الجزائري أن يشكل تواصل خفي بين مختلف الأعمال السردية التي حملت داخلها فكرة مقاومة ومواجهة الهيمنة والسيطرة ومحاربة الفكر الغربي عن طريق فرضه لثقافته ولغته المحلية على الشعوب المستعمَرة.

وعليه فإن الاديب الجزائري تمكن من رفض سيطرة الاستعمار الفرنسي، لهذا يمكن عد السرديات ما بعد الكولونيالية كرد فعل بالكتابة على الهيمنة الامبريالية الوحشية، لما عرضه الاديب من أعمال الاستعمار من سلب للهوية والثقافة، لتنتج عنها العديد من الدراسات التي جعلت من الازدواجية اللغوية داخل الادب الجزائري مثال أوضح للمقارنة.

5. الهوامش:

[1] – دانييل هنري باجو، الأدب العام والمقارن، تر: غسان السيد، د.ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق- سوريا: 1997، ص 18.

[2]– صابر عبد الدايم، الأدب المقارن بين التراث والمعاصرة، ط2، دب: 2003، ص10.

[3]– ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب: 2000، ص158.

[4]–هلين جلبرت، جوان تومكينز، الدراما ما بعد الكولونيالية النظرية والممارسة، د.ط، تر: سامي فكري، أكاديمية الفنون المصرية، القاهرة، مصر: 2000، ص 3 -4.

[5]– سوزان باسنيت، الأدب المقارن مقدمة نقدية، د.ط، تر: أمير حسن نورية، المجلس الأعلى للغة العربية، د.ب: 1999، ص87.

[6]– سليم حيولة، من الأدب المقارن إلى الدراسات المقارنة، مجلة الآداب واللغات، جامعة البليدة 02، العدد 08، 2014، ص 137.

[7]– بيل اشكروفت وغاريث غريفيث وآخرون، الرد بالكتابة النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، ط1، تر: شهرت العالم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان: 2006، ص22.

[8]- مجدي ممدوح، ما بعد الكولونيالية ... منظور إدوارد سعيد، *ص03.من الموقع الإلكتروني:*

*https://www.alfalaq.com/pp=7601*le 10/09/221

[9]– إدوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ط1، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر: 2006، ص ص531-532.

[10]– سليم حيولة، من الأدب المقارن الى الدراسات ما بعد الكولونيالية، مجلة الآداب واللغات، كلية الآداب واللغات، جامعة البليدة 2، العدد الثامن، 2014، ص 129.

[11]- إدوارد سعيد، الثقافية والامبريالية، ط4، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان: 2014، ص111.

[12]–سوزان باسنيت، الأدب المقارن مقدمة نقدية، د.ط، تر: أميرة حسن نورية، المجلس الاعلى للثقافة، د.ب: 1999، ص25.

[13]– المرجع نفسه، ص23.

[14]– سليم حيولة، من الأدب المقارن الى الدراسات ما بعد الكولونيالية، ص134.

[15]- أحمد عارف، النقد الثقافي وآداب ما بعد الاستعمار: دراسة في الكتابة السردية لضدية المقاومة في رواية الأمير مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج عينة، مجلة جسور المعرفة، الشلف، الجزائر، المجلد5، العدد02، 2019، ص541.

[16]– سليم حيولة، من الأدب المقارن الى الدراسات ما بعد الكولنيالية، ص141.

[17]– بيل اشكروفت وغاريث غريفيث وآخرون: الرد بالكتابة النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، ص22-23.

[18]– ادريس الخضراوي، الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر: 2012، ص68-69.

[19]– حسينة فلاح، تمثيل التهجين اللغوي والثقافي في الرواية الجزائرية، مجلة الممارسات اللغوية، تيزي وزو، الجزائر، المجلد11، ع4، 2020، ص 353.

[20]– ينظر، عبد المجيد حنون، العرب والأدب القارن دراسة، ط1، دار ميم للنشر، الجزائر، ص50.

[21]– أحمد عارف، النقد الثقافي وآداب ما بعد الاستعمار: دراسة في الكتابة السردية لضدية المقاومة في رواية الأمير مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج عينة، ص542.

[22]– ينظر، محمد بوعزة: سرديات ثقافية من سياسة الهوية الى سياسة الاختلاف، ط1، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، دار الأمان، بيروت، الرباط، الجزائر: 2014، ص16.

[23]– عبد المجيد حنون، العرب والأدب المقارن دراسة، ص 50.

[24]– المرجع نفسه، ص 64.

[25]– المرجع نفسه، ص 63-64.

[26]– أحمد عارف، النقد الثقافي وآداب ما بعد الاستعمار: دراسة في الكتابة السردية لضدية المقاومة في رواية الأمير مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج عينة، ص 541 .

[27]– محمد بوعزة، سرديات ثقافية من سياسة الهوية الى سياسة الاختلاف، ط1، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، دار الأمان، بيروت، الرباط، الجزائر، ص34.

6. قائمة المراجع:

1. أحمد عارف، النقد الثقافي وآداب ما بعد الاستعمار: دراسة في الكتابة السردية لضدية المقاومة في رواية الأمير مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج عينة، مجلة جسور المعرفة، المجلد 5، العدد 2، 2019، الشلف، الجزائر.
2. إدريس الخضراوي، الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، ط1، (القاهرة- مصر: رؤية للنشر والتوزيع، 2012).
3. إدوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ط1، تر: محمد عناني، القاهرة- مصر: رؤية للنشر والتوزيع، 2006).
4. إدوارد سعيد، الثقافية والامبريالية، ط4، (بيروت، لبنان: دار الآداب للنشر والتوزيع، 2014).
5. بيل اشكروفت وغاريث غريفيث وآخرون، الرد بالكتابة النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، ط1، تر: شهرت العالم، (بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة، 2006).
6. حسينة فلاح، تمثيل التهجين اللغوي والثقافي في الرواية الجزائرية، مجلة الممارسات اللغوية، تيزي وزو، الجزائر، المجلد11، ع4، 2020.
7. دانييل هنري باجو، الأدب العام والمقارن، تر: غسان السيد، د.ط، (دمشق- سوريا: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1997).
8. سليم حيولة، من الأدب المقارن إلى الدراسات المقارنة، مجلة الآداب واللغات، جامعة البليدة 02، العدد 08، 2014.
9. سليم حيولة، من الأدب المقارن الى الدراسات ما بعد الكولونيالية، مجلة الآداب واللغات، كلية الآداب واللغات، جامعة البليدة 2، العدد الثامن، 2014.
10. سوزان باسنيت، الأدب المقارن مقدمة نقدية، د.ط، تر: أمير حسن نورية، (د.ب: المجلس الأعلى للغة العربية، 1999).
11. صابر عبد الدايم، الأدب المقارن بين التراث والمعاصرة، ط2، (د.ب: 2003).
12. عبد المجيد حنون، العرب والأدب القارن دراسة، ط1، (الجزائر: دار ميم للنشر).

13. مجدي ممدوح، ما بعد الكولونيالية ... منظور إدوارد سعيد، *من الموقع الإلكتروني: https://www.alfalaq.com/pp=7601*

14. محمد بوعزة: سرديات ثقافية من سياسة الهوية الى سياسة الاختلاف، ط1، (بيروت، الرباط، الجزائر: منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، دار الأمان، 2014).

15. ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، ط3، (الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي، 2000).

16. هلين جلبرت، جوان تومكينز، الدراما ما بعد الكولونيالية النظرية والممارسة، د.ط، تر: سامي فكري، (القاهرة، مصر: أكاديمية الفنون المصرية، 2000).